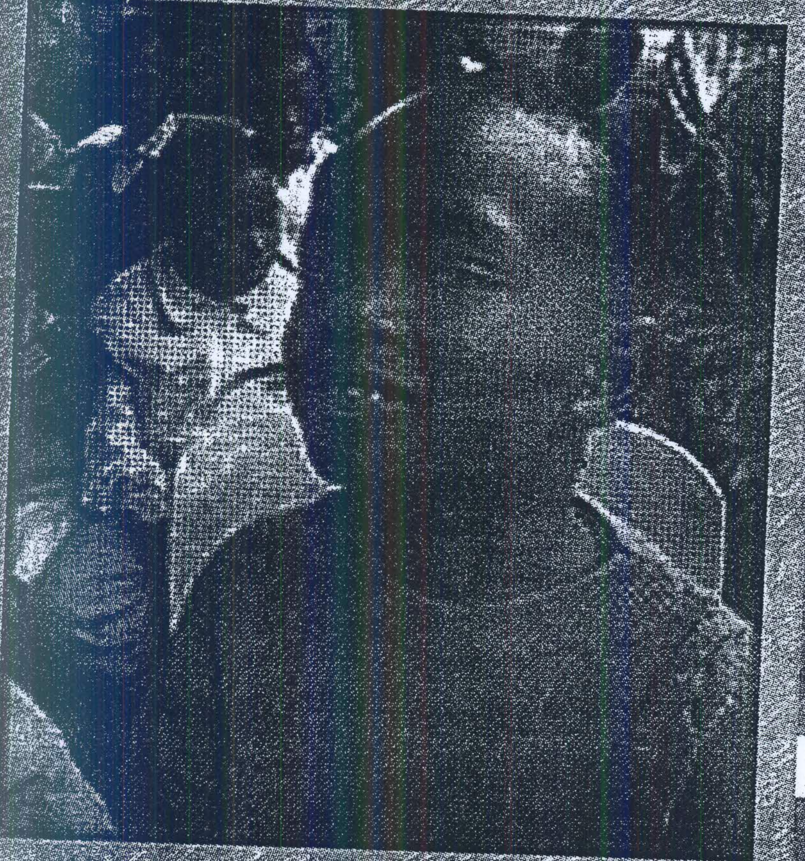
الملف

الدوري (١٢) ديسمبر 2001

Middle East & Africa Studies Center

مركز دراسات الشرق الأوسط وافريقيا



العلاقات السودانية الأمريكية

د. اسماعيل الحاج موسى

د. مالك حسين

طالبان ... سيناريو له مابعده

بروفيسور/ حسن مكي

د. عبد الله علي ابراهيم

غسيل الأموال

آثاره وضوابطه

* يوميات أفريقية.
* ترجمات اسرائيلية.

السياسة الفرنسية في افريقيا

د. الشفيع محمد المكي

الحرب يشنها الارهابيون ضد الارهاب

بروفيسور: محمد هاشم عوض

جذور الأزمة في ساحل العاج

محمد جميل بن منصور

الخرطوم - اركويت - شارع عبيد ختم - تلفون: ٢٣٨١٨٠ - ٢٣٨١٨١ - ٢٣٨١٨٢

السياسة الفرنسية في افريقيا

د. الشفيع محمد المكي

لم تكن معرفة فرنسا بافريقيا حديثة وانما بدأت منذ حركة الاستعمار لافريقيا ، الذي بدأ بانعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤م ، حينما اجمعت القوي الاوربية علي ان الادعاءات الاستعمارية في افريقيا لا تكون الا بالاحتلال الفعلي الواقع ، في اشارة الي سباق جنوني مسعور علي القارة .

دخلت فرنسا من بوابة غرب افريقيا وهي ذلك الشريط السافني المحصور بين الصحراء شمالا ومنطقة الغابات جنوبا ، المعروفة باسم نطاق السودان ، فتقدمت فيه شرقا واندفعت منه جنوبا لتدخل اقليم غانا من الباب الخلفي ولتملأ الفجوات الارضية الواسعة بين المناطق البريطانية والالمانية . واتضحت قارية التوسع الفرنسي ، والتي بدأتها من قبل من الجزائر . فقد حاولت فرنسا ايضا التوسع علي طول محور السافنا عبر السودان الاوسط عرضيا حتي تصل عبر سودان النيل الي جيبها الصغير في الصومال الفرنسي ، وكانت حادثة فشودة المشهورة التي حسمها في الحقيقة توازن الاساطيل الحربية في الاطلسي اكثر منه توازن القوات المتوغلة في افريقيا . نتيجة للصراع المثلث بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا في القرن الافريقي تقاسمت القوي الثلاث الصومال ، وخرجت فرنسا من هذا السباق بالسيطرة علي نحو ٢١٪ من السكان في مساحة مترامية ، لكنها رقعة ضخمة جدا منها صحاري وشبه صحاري ، وذلك بعد بريطانيا التي سيطرت علي اغني مناطق افريقيا من الناحية الطبيعية والاقتصادية موزعة في وحدات تضم داخلها حوالي ٤٥٪ من سكان القارة .

افريقيا بعد الاستقلال

انتهجت دول المتربول سياسة ربط مستعمراتها السابقة بها ، وذلك باستخدام وسائل واساليب متعددة ، وفرنسا ليست استثناء في ذلك . من ضمن الوسائل نظام مؤتمرات القمة الفرنسية الافريقية . وفي تقديري ان المؤتمر التاسع ، الذي انعقد في العاصمة الزائيرية كنشاسا في الفترة من ٨-٩ اكتوبر ١٩٨٢م كان من اهم المؤتمرات، اذ انه انعقد وسط تساؤلات افريقية ملحة حول حقيقة ابعاد الدور الفرنسي في القارة . اضافة الي انه اتسم بطابع قاري افريقي ، ولم يقتصر علي الدول الناطقة بالفرنسية وذلك باشتراك العديد من الدول الافريقية فيه ، بعد ان

وجهت فرنسا الدعوة الي جميع دول القارة باستثناء حكومة جنوب افريقيا العنصرية وقد وقع علي بيان القمة ممثلو ٣٧ دولة منهم ١٩ رئيساً .

اتضح في تلك الفترة ان هناك موقفان افريقيان تجاه فرنسا :

اولا: موقف الدول المعتدلة وخاصة الناطقة باللغة الفرنسية وفي مقدمتهاساحل العاج والسنغال ، اذ تؤيد هذه الدول بصفة عامة السياسة الفرنسية في افريقيا ، بل تدعو فرنسا الي القيام بدور اكثر نشاط وفعالية في القارة وذلك في اطار التصدي للنفوذ السوفيتي والكوبي المتزايد في القارة ، والذي من شأنه ان يهدد استقرار هذه الدول .

ثانيا : موقف الدول المتشددة التي تري ان فرنسا وسياستها الراهنة في افريقيا لا تعدو كونها تعبير عن سياسيات الاستعمار الجديد وفي هذا المنحي وصفت الجزائر وليبيا مثلا مؤتمر قمة كنشاسا بانه تجمع استعماري جديد .

سياسة فرنسا الافريقية في ظل ديستان

اتجهت فرنسا في ظل حكم ديستان الي انتهاج ما اسمته سياسة جديدة تجاه افريقيا ، وقد اطلقت بعض الدوائر والصحف علي هذه السياسة مصطلح «المشروع الكبير» .الغرض من هذه السياسة اساساً هو توسيع النفوذ الفرنسي خارج نطاق الدول الناطقة بالفرنسية وذلك من خلال :

* استعداد حكومة ديستان لتقديم المساعدات العسكرية الفرنسية في حالة تعرض امن الدول الافريقية للخطر . الامر الذي وضح في التدخل العسكري الفرنسي في زائير لمساندة حكومتها في حرب «شابا» الاولي ١٩٧٧م والثانية ١٩٧٨م ، بالاضافة الي التدخل العسكري الفرنسي في موريتانيا للتصدي لثوار جبهة البوليساريو .

* سعت حكومة ديستان الي عقد ترتيبات امنية بين فرنسا والدول الافريقية وحاولت اشراك حلفائها الاوربيين في هذه الترتيبات ، الا انها لم تنجح في ذلك لعدم تحمس الدول الافريقية اولا ، وحذر الدول الاوربية من ان يقود ذلك العمل الي اضطراد تزايد النفوذ السوفيتي والكوبي في القارة .

* من وجهة نظر ديستان انه يمكن ان يستفاد من خبرة كل من فرنسا وبريطانيا السابقة في افريقيا لتلعب دورا اكبر في القارة ، لكي تمنعها من ان تتحول الي ساحة للقتال بين القوتين العظميين - الاتحاد السوفيتي والولايات

المتحدة الامريكية .

وبما ان الولايات المتحدة الامريكية لم يكن لها نشاط ونفوذ كبير في القارة الافريقية ، فقد حظيت سياسة ديستان هذه بتاييدها ، وقد ذكرت بعض المصادر ان الرئيس الامريكي جيمي كارتر اعرب عن تعاطفه مع سياسة فرنسا في افريقيا خلال زيارته لفرنسا في الاول من يناير ١٩٧٨م .

المشروع الافريقي في ظل ميتران

بمجرد فوز الحزب الاشتراكي الفرنسي في الانتخابات العامة في مايو ١٩٨١م بدأ المسئولون في الحزب يؤكدون حرصهم علي انتهاج سياسة فرنسية جديدة تجاه القارة الافريقية ، وجاء ذكر هذه السياسة في الوثيقة التي اطلق عليها اسم «المشروع الافريقي» . ومما ورد في هذه الوثيقة ان فرنسا في ظل حكم الاشتراكيين ستعمل علي اعادة الثقة بسياسة فرنسا في افريقيا الامر الذي يعني اعادة توجيه السياسة الفرنسية لاتخاذ مواقف متشددة ازاء حكومة جنوب افريقيا «العنصرية» وتأييد حركات التمرد الوطني في القارة «المقصود استقلال ناميبيا من جنوب افريقيا» ،وفيما يتعلق بقضية استقلال اقليم اريتريا من سيطرة اثيوبيا ومشكلة اقليم الصحراء الغربية اكدت الوثيقة علي حق شعبي ارتريا والصحراء في الحصول علي الاستقلال الذاتي . بالرغم من تاكيدها علي الالتزام بالحفاظ علي الحدود الافريقية الراهنة . كما تعهدت بزيادة المعونات المالية والاقتصادية للقارة. درج الفرنسيون منذ عهد ديستان علي القول بان افريقيا هي القارة الوحيدة التي ما زالت فرنسا قادرة علي تغيير مجري التاريخ فيها . ففرنسا ما زالت تربطها معاهدات دفاعية مع ثماني دول افريقية ، حيث بامكانها التدخل عسكريا كما حدث في مايو ١٩٩٦م عندما تدخلت في افريقيا الوسطي ، وارسلت ٥٠٠ جندي لتعزيز الحماية الفرنسية بحجة حماية حوالي الف فرنسي يعيشون فيها الامر الذي جعل جاك غودفرين وزير التعاون يؤكد في ٢٠ مايو ١٩٩٦م ان فرنسا غير مستعدة للعب دور الشرطي في افريقيا ، بل ينبغي عليها درس اسس تدخلها هناك .

هذه السياسة الجديدة التي اعتبرت تراجعا فرنسيا عن حماية المصالح الفرنسية في افريقيا ، منعتها من التدخل العسكري في المستنقع البورندي الذي حاولت الولايات المتحدة استدراجها اليه لا سيما بعد الانتقادات التي وجهت اليها اثر عملية توركواز في رواندا .

وهكذا امست فرنسا في وضع دفاعي في افريقيا ، رغم مبادراتها البارزة ، افتتاح قمة اوغادوغو من قبل الرئيس شيراك الذي اعتلي سدة الحكم في مايو ١٩٩٥م الي افريقيا ، الان الصعوبات الاقتصادية الفرنسية حالت دون نجاح سياسته الافريقية ولان الذي يوجه المصالح الافريقية اضحي المبادئ الاقتصادية والتنموية وليس الارتباطات الثقافية والعاطفية وان الدول الصديقة لفرنسا اصبحت بحاجة ماسة الي العون الاقتصادي والمالي خاصة رواندا ، بورندي ، ليبريا ، الصومال ، السودان ، مالي ، ساحل العاج وبوركينا فاسو . رغم المحاولات الامريكية لتحل مكان فرنسا في افريقيا ، فان الوجود الفرنسي مازال متجسداً في عدة مظاهر ابرزها :

* الوجود العسكري الفرنسي في السنغال (١٣٠٠ عنصراً) وساحل العاج (٥٣٠ عنصراً) وتشاد (٨٤٠ عنصراً) وجمهورية افريقيا الوسطي (١٥٠٠ عنصراً) وجيبوتي (٣٢٠٠ عنصرا) والغابون (٦٠٠ عنصرا) ، اي ما مجموعه ٨٠٣٠ جنديا ، وذلك في اواخر عام ١٩٩٦م .

* ما زالت فرنسا تربطها اتفاقيات دفاعية مع ٨ دول افريقية .

* اللغة الفرنسية ما زالت حاضرة بالرغم من تغيير المعطيات السياسية والاقتصادية وان ٦٠ مليون افريقي يتكلمون الفرنسية . وهي لغة التعلم في عدد كبير من الدول ، وهناك مبلغ ١,٩ مليار فرنك فرنسي تخصصه باريس سنويا كمساعدات علمية وثقافية .

* تعتبر فرنسا اول الدول المصدرة الي افريقيا وهي تسبق في ذلك الولايات المتحدة واليابان والمانيا ، خاصة بعد خفض قيمة الفرنك الفرنسي - الافريقي بمعدل ٥٠٪ في نوفمبر ١٩٩٤م .

* دعم فرنسا لقادة الدول الفرانكفونية كما حدث بالنسبة للنيجر في ديسمبر ١٩٩٦م ، وفي افريقيا الوسطي في اواخر ابريل ١٩٩٦م ، وفي رواندا في ابريل ١٩٩٤م ، والغابون في ١٩٩٠م ، وجزر القمر في ١٩٨٩م ، وتوغو في ١٩٨٦م .

كما دعمت فرنسا نظام موبوتو في الكنغو رغم فساده ، والسودان بعد تسلمها كارلوس ، وايضا الحكومة الجزائرية في مواجهتها مع جبهة الانقاذ الاسلامية ، وساعدت الرئيس التشادي ادريس دبي بعد سقوط نظام حسين هبري في عام ١٩٩٠م والكاميرون في معركته ضد نيجيريا .

تعتبر افريقيا اهم دوائر السياسة الخارجية الفرنسية ، وقد عبر كثير من

الرؤساء الفرنسيين عن اهمية افريقيا بالنسبة لفرنسا . ولعل تأكيد الرئيس الراحل فرانسوا ميتران في القمة الفرنسية - الافريقية التي عقدت في بيارتيز بفرنسا عام ١٩٩٤م ، حيث قال : «انه بدون افريقيا فلن يكون لفرنسا تاريخ في القرن الحادي والعشرين ، فالقارة السمراء كانت مجد فرنسا ومنطقة نفوذها التاريخي ، لذا فمن الصعب تخيل قيام رئيس او حكومة فرنسية ايا ما كانت توجهاتها بالتخلي عن افريقيا» .

اهداف السياسية الفرنسية في افريقيا

تتلخص اهداف السياسية الفرنسية في افريقيا في :

١/ سياسة الهيمنة علي افريقيا ، وان لم تقل بذلك التصريحات الرسمية ، ويتأكد ذلك من وجود قواعد عسكرية فرنسية في بعض الدول الافريقية تفوق قواتها وقدراتها القتالية كفاءة الجيوش الافريقية الوطنية .

٢/ مواجهة النفوذ الامريكي المتزايد في القارة ، بعد ان بدت موازين القوي في اواخر التسعينات تميل لصالح امريكا .

٣/ المحافظة علي مصالحها الاقتصادية في افريقيا ، حيث تشير بعض المصادر الي ان حجم الصادرات الفرنسية بلغت ١٣,٥ مليار دولار سنويا ، فضلا عن المشاريع الاقتصادية الضخمة في الدول الافريقية ، مثل شراء شركات المياه والكهرباء والهواتف في السنغال ، واستثمارات النفط في الكونغو برازفيل ، ويتراوح حجم استثماراتها خلال العقدين القادمين بين ٤٠-٦٠ مليار دولار .

تنبع السياسة الفرنسية الحالية - بشقيهاالسياسي والاقتصادي - من المشروع الذي اعدته وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٩٧م ، وعرف باسم «مشروع افريقيا» واهم ملامحه :

أ- تأييد اقامة انظمة سياسية جديدة في الدول الافريقية وفق مبادئ الديمقراطية ، طبقاً لمعايير المصلحة الفرنسية .

ب- دعم العلاقات بانواعها مع الحكومات المدنية والعمل علي تقليص المؤسسات العسكرية .

ج- اعداد كوادر سياسية واعية من الشباب ، وتثقيفهم وتدريبهم سياسيا وحزبياً ، لكي تكون النخبة السياسية الحاكمة في المستقبل تابعة لباريس .

د- دعم برامج التنمية والاصلاح الاقتصادي ، مع التركيز علي الدول التي

تمتلك بنية اساسية معقولة .

هـ- اعادة تنظيم الوجود العسكري الفرنسي في افريقيا . وقد قامت فرنسا بتقليص عدد قواعدها العسكرية في القارة الي ست قواعد فقط في دول : جيبوتي ، تشاد ، السنغال ، كوت ديفوار ، الكاميرون والجابون . وكانت آخر قاعدة تمت تصفيتهاهي قاعدة بانغي في افريقيا الوسطي اواخر عام ١٩٩٧م ، وذلك بعد ان كانت تستخدم للهيمنة علي مناطق افريقيا الوسطي والبحيرات العظمي .

يلاحظ انه بعد انتهاء الحرب الباردة اتجهت فرنسا مع شقيقاتها الاوربيات الي اعادة رسم اولويات استراتيجيتها لصالح البناء الاوربي ، فاهملت الدول الفرنسية سياساتها في افريقيا ، وهذه عززت من فرص التغلغل الامريكي في القارة وساعدت علي تطور العلاقات الي ما اسماها كلنتون عام ١٩٩٨م بعلاقات الشراكة . ان احساس فرنسا بالخطر الامريكي في القارة جعلها تتجه الي تطوير سياساتها في افريقيا من خلال عدة محاور رئيسية منها :

- انطلقت ايضا الي خارج الدول الفرانكفونية للبحث عن تحالف قوي يضم كل الدول الناطقة بالفرنسية .
- انطلقت الي خارج الدول الفرانكفونية للبحث عن اسواق اخري .
- تجنيب فرنسا الانجرار وراء سياسة الولايات المتحدة المعادية لبعض الدول الافريقية لكي لا تضر بمصالحها الاقتصادية في الاسواق الافريقية.
- ابتعدت عن الصراع المباشر مع الولايات المتحدة ، ولم تمانع في التعاون معها في الاسواق الافريقية ، لعدم مقدرتها علي تحمل اعباء المساعدة في التنمية الاقتصادية لدول القارة ، ولكي تضمن عدم استعداد امريكا في مناطق نفوذها .
- اولت استقطاب الدول الافريقية بعيدا عن الولايات المتحدة كما حدث في انعقاد القمة الفرنسية الافريقية عام ١٩٩٨م ومؤتمر وزراء الدول الافريقية وفرنسا عام ١٩٩٩م الذي بحث قضايا الامن والتنمية في افريقيا وحل النزاعات في دول القارة .